حوليات آداب عين شمس المجلد 52 (عدد إبريل – يونيو 2024)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

صورة المرأة في أعمال الروائية ليلى الأطرش

مالك سالم صالح الصرايرة*

المملكة الأردنية الهاشمية
malilsalem816@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/11/19
تاريخ قبول البحث: 2023/12/13
تاريخ النشر: 2024/06/30

المستخلص:

هدف هذا البحث إلى الوقوف على صورة المرأة في أعمال الروائية ليلى الأطرش، من خلال: مجموعة من الروايات هي: امرأةالفصولالخمسة، وليلتان وظل امرأة. ومرافئ الوهم، ورواية وتشرق غربا. وقد اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، من خلال تتبع الشخصيات النسائية في هذه الروايات، وتحليلها والكشف عن دلالاتها في النصوص الأدبية المقروءة.

وقد أظهرت نتائج البحث أن الروائية ليلى الأطرش قد استحضرت مجموعة من النماذج النسوية في المجتمع لتشكل شخصيات عدد من رواياتها، فنجدها قد نوعت من تلك النماذج بين المرأة المثقفة، والمتمردة، والخاضعة، والمرأة المناضلة، ولكن الملاحظ على مجموعة تلك النماذج أنها كانت في أغلبها نماذج تظهر الضدية بين الرجل والمرأة، وفي بعضها ملامح للدعوة إلى تحرر المرأة من قيود المجتمع التي انتهكت حقوقها، وتظهر بشكل جلي عيوب المجتمع الأبوي الذي يهضم حقوق المرأة، وينتهك المساواة بينها وبين الرجل.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب – جامعة عين شمس 2024.

المقدمة

اهتمت الكتابة النسوية بمسائل جوهرية في حياة المرأة، أهمها نقد الظلم الاجتماعي الموجه من قبل الرجال، والحث على التمرد النسوي ضد مجتمع الرجال والمطالبة بالحرية، والصراع من أجل التخلص من القيود الاجتماعية التقليدية ضد المرأة. بالإضافة إلى أن صورة المرأة في الرواية كانت تتعدى وجودها الفردي لتعبر عممن حقائق أبعد من هذا الوجود، كأن تكون رمزا للنوع الأنثوي، أو لشريحة اجتماعية خاصة، ويلحظ من التطور الفني لصورة المرأة في الرواية، أن الروائي يسعى إلى إظهار المرأة كإنسان حر يسهم في بناء الوطن مشاركة الرجل.

ولكن صورة المرأة في الرواية بدأ يتغير عن نظرة الكاتب نفسه لهذه الصورة، وذلك بظهور روائيات نساء، بدأن يظهرن صورة المرأة على حقيقتها، وبدأت تظهر نماذج جديدة لصورة المرأة، المرأة الأم المثالية، ورمز للوطن والشخصية الوطنية، أو تعبر عن الطبقة الاجتماعية، فهي الزوجة المحافظة أو الحبيبة التابعة، وهي الأرستقراطية المتعالية، وهي الخادمة العاملة. ولم تختلف الرواية الأردنية عن الرواية العربية في طرح نماذج للمرأة في الأعمال الروائية، وقد ظهرت روائيات أردنيات تناولن نماذج مشابهة للنماذج العربية التي سبقتها، ولعل الروائية ليلى الأطرش من الروائيات الأردنيات اللواتي عرض لنماذج متعددة لصورة المرأة في أعمالها الروائية التي تأثرت بواقع المجتمع، وسيناول هذا البحث صورة المرأة في روايات ليلى الاطرش ويسلط الضوء على أهم النماذج التي تناولتها هذه الروائية.

وقد أفردت مساحة كبيرة لصورة المرأة في معظم رواياتها، فالدارس لنتاج ليلى الأطرش سيرى صورا متناثرة ومتقاطعة لنسائها، وألوانا من بيئات متعددة وتشابكات وعلاقات تارة مضطربة وتارة تسير في صيرورة واحدة، وقد وجدنا هذه الشخصيات النسائية تختلف أحيانا وتتفق في أحيان كثيرة، وهي سمة المرأة في أدب المرأة، غير أن لكل واحدة من شخصياتها هويتها الخاصة بها.

أهمية البحث:

تأتي أهمية البحث من أنها تتناول الروائية الأردنية ليلى الأطرش، مركزة على صورة المرأة عندها، وهو موضوع ذو علاقة بالحضور النسوي في الإبداع الروائي، إضافة إلى تناولها عدد من الروايات التي خطت إبداعها الروائية ليلى الأطرش.

أهداف البحث:

سعى البحث للوقوف على صورة المرأة عند الروائية الأردنية "ليلى الأطرش" وتحليل الشخصيات النسوية الواردة في تلك الأعمال، لتسليط الضوء على بعض النماذج النسوية التي أظهرتها الروائية في أعمالها.

منهج البحث

جاء هذا البحث للوقوف على صورة المرأة في أعمال الروائية الأردنية ليلى الأطرش، وذلك بالدرس والتحليل لبعض الروايات، المتمثلة بـــ:امرأة الفصول الخمسة (1990). ليلتان وظل امرأة (1998). ومرافئ الوهم(2005).

وتشرق غربا(1998). وقد اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، بالوقوف على النصوص الروائية التي تظهر صورة الشخصيات النسوية في تلك الروايات، وتحليلها وإبراز دلالتها.

الدراسات السابقة

هناك عدد من الدراسات التي تناولت صورة المرأة في الأعمال الروائية النسوية في الأردن والتي أفاد منها البحث الحالي، وهي: دراسة محمد أحمد القضاة(2010). بعنوان: " صورة المرأة في الرواية والقصة القصيرة النسوية الأردنية[1]، ولم تحدد هذه الدراسة روائية بعينها بل تناولت أكثر من عمل روائي لأكثر من روائية، إضافة إلى بعض المجموعات القصصية، وقد أشار في جزء من الدراسة إلى الروائية ليلى الأطرش، ودراسة سهى خالد العبداللات (2019)، بعنوان: "شخصية المرأة في الرواية الأردنية في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين"[2]، التي هدفت إلى إظهار شخصية المرأة كما رسمتها الكاتبة الأردنية فـــي أعمالها الروائية.وقد تنوعت نماذج شخصية المرأة التي قدمتها الكاتبة الأردنية فـــي أعمالها الروائية بتعدد القضايا التي تجسدها، فجاءت نماذجها ممثلة معظم فئات المجتمع النسائية، معبرة عن روح العصر الذي تعيش فـــيه، وممثلة لفكره وحضارته.

ودراسة إياد الشواورة (2020)، بعنوان: "صورة المرأة عند الروائيات الأردنيات"[3]. وتناول الباحث صورة المرأة في الرواية النسوية في الأردن، بهدف الوقوف على مجموعة من الأعمال الروائية لبعض الروائيات الأردنيات للكشف عن صورة المرأة في تلك الروايات النسوية الأردنية، من خلال استقصاء أبرز النماذج التي تناولتها تلك الروايات، إضافة إلى دراسة تشكيل شخصية المرأة كما ظهرت عند الروائيات الأردنيات. وقد تناول بعض أعمال الروائية ليلى الأطرش.

ويختلف البحث الحالي عن الدراسات السابقة أنه تناول صورة المرأة تحديدا عند الروائية الأردنية ليلى الأطرش، كأنموذج للروائيات الأردنيات اللواتي تناولن صورة المرأة في أعمالهن.

التمهيد: الروائية ليلى الأطرش

إن الكاتبة الإبداعية النسوية ليست سوى رؤية المرأة لنفسها وللأخريات، في سياق تاريخي وسياسي ونفسي واقتصادي واجتماعي معين، وبذلك لا يمكن تبسيط الأمور إلى حد القول إن الكاتبة النسوية هي الحديث عن قضية المرأة[4].

وتعد ليلى الأطرش إحدى كاتبات الرواية المعروفات في الوطن العربي، ومن اللواتي أرسين قاعدة الرواية النسوية في الأردن، وسعين إلى تحديد الرواية ونضجها فكرا وفنا، ولها حضور متميز في الساحات الأدبية والثقافية والفكرية، ويعد أدب ليلى الأطرش فريدا في تمثيله لشريحة من المجتمع البرجوازي المثقف في فلسطين والأردن والوطن العربي، فقد قدمت الكاتبة من خلال رواياتها صور متعددة الأبعاد للحياة البرجوازية المدنية، تمكن القارئ من الولوج إلى دوخل المجتمع الأبوي ودواخل الإنسان المثقف، وبخاصة المرأة، فهي الموضوع الطاغي على رواياتها، سواء من حيث الشخصيات أو الأحداث[5].

وقد حازت أعمال ليلى الأطرش على الكثير من الاهتمام، فترجمت روايتها "امرأة للفصول الخمسة" إلى الانجليزية والفرنسية. وليلى الأطرش روائية وإعلامية أردنية من أصول فلسطينية، ولدت في بيت ساحور في فلسطين، بدأت في نشر إنتاجها في الستينات في مجلة الأفق الجديد، لها عدد من الروايات ترجم معظمها إلى عدد كبير من اللغات، منها: و"تشرق غربا"(1988)، و"امرأة للفصول الخمسة"(1990)، و"ليلتان وظل امرأة" (1996)، و"صهيل المسافات" (1999)، و"مرافئ الوهم" (2005)، ورغبات ذاك الخريف" (2010)، وأبناء الريح" (2012)، ولها مجموعة قصصية واحدة هي "يوم عادي وقصص أخرى"(1991)، وكتاب سيرة ذاتية بعنوان: "نساء على المفارق"(2010)، ومسرحية " أوراق للحب" (2011)[6].

نماذج لصورة المرأة في أعمال ليلى الأطرش

أولا: المرأة المثقفة

تحمل رواية "مرافئ الوهم" للروائية ليلى الأطرش صفة الرواية النسوية لا لكون كاتبتها امرأة، بل لأنها تطرح هموم المرأة وقضاياها بشكل واضح، بعيداً عن الصراع الجنسوي رجل ضد المرأة. فهي تتخذ من المرأة محوراً للبطولة، ومحوراً للصراع، لترسم صورة فنية للمرأة في علاقتها بذاتها وبالآخرين.

وتمثل بطلة الرواية نموذجاً للمرأة المثقفة القادرة على النجاح في حياتها العملية مقابل الرجل الذي يبدو شخصية معطوبة يتخلى عن مبادئه ويتاجر بها، وفي نظرته إلى المرأة يعكس مفاهيم الذكورة التي ترى فيها مجرد أنثى تحقق رغبات الرجل، ووسيلة يحتمي بها من عجزه وإحباطاته، ويمارس عليها قمعه واضطهاده.

فشخصية "شادن" هي شخصية المرأة الإعلامية الناجحة التي تميزت ملامحها بثقافتها ووعيها وحواراتها التي تدل على ثقافتها، وهي واحدة من شخصيات الرواية التي تشارك كفاح وسلاف وجواد الظروف القاسية التي يعيشونها جراء ما يجري في العراق وفلسطين من قهر ومعاناة وموت. وكأنها بذلك تشير إلى تشارك المرأة مع الرجل في المعاناة والقهر، فلا تقتصر المعاناة على الرجل وحده.

تظهر صورة المرأة الأولى في رواية مرافئ الوهم من خلال صورة "شادن" و"سلاف" وتظهر صورة المرأة في هاتين الشخصيتين بصورة النساء اللواتي يعشن بأجواء من الحب والتصالح بعكس الأجواء التي يظهر بها الرجال من صراع ومنافسة وتنافر "وكأن الحوار بين ديكين لا يحتملان"[7]. إضافة إلى شخصية لميعة خالة سلاف التيتتشابه في ظروفها ومعاناتها وثقافتها بسلاف، والرواية تطرح هموم المرأة ومشكلاتها، وتمثل المرأة محور الرواية وأساسها سواء في علاقاتها ببنات جنسها أم في علاقاتها مع الرجل.

وتظهر شخصية المرأة في رواية " مرافئ الوهم" بإنسانية عالية، وقدرة فائقة على التخلص من عقدة المرأة التي لا تستطيع أن تعمل ما يعمله الرجال، ولذلك تظهر المرأة وهي تعمل بعمل الرجل التي تحتاج لظروف قوية، وحين تتغيب سلاف عن عملها تتعرض للهمز واللمز والانتقاد من لدن زملائها مما يدفع شادن للدفاع عنها بقوة واقناع وترفض

اتهامات الزملاء لسلاف على عكس شخصية نور زوجة سيف العدناني التي مثلت نموذج المرأة المستسلمة لحاجات الزوجية والبيت، ويكشف الحوار والمساجلات النصية الأزمة الحقيقية بين سلاف وشادن من جهة وسيف وكفاح من جهة ثانية، فكفاح أبو غليون لا يستطيع تحمل امرأة قوية ومشاهدتها (سلاف) تقوم بعملها غير آبهة بتلك العلاقة التي ربطتها معه في الماضي مما يكشف ما في داخله من أزمة تجاه طليقته؛ وكأنها في هذا المشهد ترد عليه مما جعلته يحاور نفسه بغضب وقهر حين قالت له:" تتمسك بي لأنك اضعتني، هذا ليس حبا[8]، وهذه العبارة تؤكد ثقة سلاف بنفسها وبعملها وقدرتها على المواجهة.

يجمع الحب بين شادن وكفاح في الماضي، فترفض عائلتها كفاح لاختلاف الدين، رغم استعداده لتغيير دينه، فترضخ شـــادن لقرار عائلتها تماماً. وتبدو شادن عاجزة عن القفز عن تقاليد العائلة، محكومة بثقافة العيب والحلال والحرام. لذا تمضي هي وكفاح كل في طريقه. تحاول بعد حبها الفاشل ترميم حياتها فتتزوج من آخر، لكنها تصطدم بخيانته فتصر على الطلاق وتحصل عليه رغماً عن أهلها الذين وقفوا إلى جانب الزوج الخائن " ثار أبي، وندب حظه ابنة متهورة تطلق رجلاً ناجحاً ... وأقسم أن يقاطعني "[9].

وتبدو شادن شخصية متمردة على عادات مجتمعها وتقاليده، تطلق زوجها بإرادتها بعد أن صدمتها العلاقات الاجتماعية ذات الطابع الذكوري التي تتيح للزوج الخيانة، ورأت فيها تعدياً على فرديتها وسحقاً لإنسانيتها. " رفعت صوتي كما لم يعهد أبي أو خبرته من نفسي ... أخرجت الآخر من حياتي بقراري وحدي"[10]. ورضخت شادن للعلاقات الاجتماعية التي حرمتها ممن تحب، لكن القمع الذي مورس عليها حين خانها زوجها، دفعها للتمرد لتؤكد حريتها الفردية.

وما بين زوج خائن وحبيب غادر يصبح العمل نوعاً من الخلاص لتفريغ الهموم الداخلية، لذا تشق شادن طريقها إلى الشهرة والنجاح (إعلامية وروائية)، وتثبت جدارتها بحرية انتزعتها رغماً عن أهلها. لكن وعلى الرغم من بريق الشهرة والنجاح لم تستطع شادن التحرر من إرثها الثقافي والتربوي فخطواتها كانت مربوطة ومغلولة إلى عقل يحدد مسيرتها، وتمردها كان محسوباً بمقدار " أنا امرأة ... تحلم بمغامرة تحيي جذوة الحياة وتقلبها فلا تجرؤ ... وأحسد نساء يندفعن بعاطفة وإقدام إلى المغامرة "[11]. وهنا تبدو شخصية المرأة رغم تمردها محصورة ضمن إطار الفرد الذي يملك العقل الحسابي، إذ لا يعبر صاحبه عن مشاعره أو أفكاره أو يتصرف إلا بما يخدم غاياته ومراميه. "حليم بركات المجتمع العربي في القرن العشرين.

ويبدو أيضاً أن الموقف الأيديولوجي عند الشخصية غير منفصل عن موقف الكاتبة، فمفهوم الحرية عند شادن ومن خلفها الراوئية مرتبط بدرجة وعي المرأة وتصورها لنفســـها ككائن مستقل يرى أن الحرية هي وعي بالضرورة الاجتماعية والتربوية، التي تحدد علاقتها بالآخر ضمن إطارها المشـــروع. لذا لم تجرؤ شادن على المغامرة، بل تذهب إلى أبعد من ذلك إذ ترى أن القدر هو الذي يحدد مصيرها " تفرض الحياة واقعها وسطوتها وشروطها فنقبل دون أن نفهم ... "[12]، ولأن شادن تنتمي إلى بيئة محافظة بعاداتها وتقاليدها تكتم عواطفها " علمتني أمي أن امرأة عربية مثلي يضيرها

أن تصرح بمشاعرها "، ولأنها كذلك تخفي سرها عن الآخرين، وتغلف الأسى والخذلان في حياتها بمرح ظاهر كي تحافظ على صورتها أمام الناس.

ورغم مرور السنين تحتفظ شادن بحب الماضي في أعماقها وكأن الماضي يسكن الحاضر ويفعل في حركته "هل خطر لك في فراق الســـنين أنني كنت أنجح من أجلك أتميز لتعرف أشتهر لتســـــمع "[13]. وحين يفرض عليها لقاء كفاح بعد خمســـــة وعشـــــرين عاماً، تبالغ في مظهرها وأناقتها رغبة في استعادة الماضي وتجديده، فتبدو امرأة تقليدية تحاول التأثير على الآخر من خلال مظهرها. لكنها حين تلقاه تتعمق خسارتها لرجل الماضي فخسارة الماضي مقدمة لخسارة الحاضر "وجه غير هذا احتلني وضاع فيه العمر "[14].

ثانيا: المرأة المتمردة

تبدو سلاف شخصية متمردة منذ طفولتها " منذ وعيت وغير العادي هاجسي، وأحلم بدور لم يلعبه سواي"[15]، فرغم تقاليد العائلة الصارمة حطمت أسواراً وأصفاداً قبل زواجها وبعده. وفي تمردها تبدو سلاف أكثر جرأة من شادن الراوي، فقد اتخذت من صلابة خالتها لميعة وقدرتها على النجاح مثالاً تحتذي به. لكنها تتشابه مع شادن في سمة البطل البيروني الذي لا يمكن له أن يحقق ذاته داخل أطر المجتمع التقليدية التي تحد من حريته الفردية.

تعاني سلاف من نزق الرجل وطيشه، الرجل الذي يقف إلى جانبها في عملها ودراستها، ويسلبها في المقابل كرامتها وإنسانيتها، يجرحها بكلماته ثم يتوسل الصفح. يطردها مطلقة ثم يعيدها باكياً معتذراً، وما بين طلاق وعودة، وما بين بوهيمية الحب والغفران تتحول العلاقة بينهما إلى تعذيب سادي، فيفشل زواجهما. ترفض سلاف زواج المحلل أو زواج المتعة وترى فيه نوعاً من القهر والاختزال "لن أقبل المحلل ففيه امتهان لي، ولن أنام مع غيرك لأعود لك"[16].

وتبدو سلاف في علاقتها الجديدة مع جواد امرأة أخرى أنضجتها التجربة وبدلت وعيها، وأخرجتها من ذاتها الأولى، فالزمن كان كفيلاً لفهمها معنى الأنوثة والحياة. وكما هي شادن الراوي تصبح سلاف بعيداً عن زوجها امرأة قادرة، فهي لن تكون رهن إشارة الرجل "لن أخدع ربي من أجلك أو أمارس الحرام لتنكح وتطلق متى تشاء ..."[17].

لذا ترحل سلاف بأولادها بعيداً عن جواد الذي لا يرى فيها سوى جسدٍ يشتهيه، وبعيداً عنه تشق طريقها في الحياة، وتنجح في عملها، وتفرض احترامها على الجميع، فتمتلك ذاتها وحريتها. ورغم ذلك تجهد لإخفاء فشل زواجها عن أعين الآخرين؛ لتحافظ على صورتها أمام الناس، لكنها حين يصاب جواد بالشلل تقف إلى جانبه مراعاة لعشرة كانت، وحباً لأولادها.

ثالثا: المرأة الخاضعة

تباين صورة المرأة من خلال "نادية الفقيه" التي تمثل المرأة في حالات الخضوع والتمرد، وفيها تحاول الروائية تقديم الواقع الخارجي والداخلي لبطلتها، فتغوص في الوجدان النفسي للشخصية، عبر رصد الواقع، فنادية الفقيه تُعد شخصية (نامية) تخضع لتحولات عدة؛ تستمد عدداً من خصائصها من العالم المرجعي للقارئ، إضافة إلى خصائصها

المعطاة في النص، ما يعني أن صورتها في الرواية عبارة عن خليط ما بين المعطيات الموضوعية للنص والمساهمة الذاتية للقارئ.

تمثل نادية في بداية زواجها دور المرأة التقليدي، المرأة الخاضعة التي تؤثر رغبات زوجها على رغباتها وقناعاتها " الكتاب في يدي يزعجه كان يصر على سحبه من يدي ... ثم بدأت ألقيه حين يدخل، أردت أن أكون زوجته ... فأنا من سلالة تلك الأعرابية التي تناقلت النساء وصيتها"[18]. وتشعر نادية بالفراغ والخواء في حياتها، رغم عيشتها المترفة. وهنا تحاول الكاتبة رصد معاناة المرأة النفسية وصراعها للتخلص من دور الأنثى الذي فرض عليها " يؤلمها أن تحس أنه لا يرى فيها إلا امرأته"[19]. وحين تخرج من قالب الأنثى وتتمرد على الدور الذي رسمه لها زوجها – دور الزوجة الجميلة، والأم التي تحافظ على نسله، والمرأة التي تستجيب لرغباته – تمثل نادية دور المرأة المتمردة التي تحقق ذاتها بالعمل، فتصبح سيدة أعمال ناجحة بعيداً عن عمل زوجها.

وبعد سقوط قناع حبيبها الأول، وبطلها الثوري جلال الناطور الذي دخل لعبة الثروة والمال، وبعد أن حاول التحرش بها تربط نادية بين فجيعة الوطن، ومأساة المرأة في مجتمع ذكوري متخلف، فتزداد قوة وصلابة " تخيلت أن جلال أقدر على لمس إنساني الداخلي ... فإذا أنا له مجرد أنثى ... وهو رجل ... أنا ناديه الفقيه، لا يستطيع أحد أن يعرفها أو يملكها ... بل أنا منذ هذه اللحظة أملك نفسي"[20]. لكن على الرغم مما حققته نادية تبقى قدرتها كامرأة على إحداث التغيير محدودة نظراً لعدم الاتساق بين واقع داخلي متغير وجمود خارجي يتهددها. لذا تعجز عن اتخاذ قرارها بالانفصال عن زوجها حين يخونها، وتبقى أسيرة لدورها النمطي، وأمومتها التي أجبرتها على التضحية بحريتها من أجل الحفاظ على صورة أسرة متماسكة " اشتريت سكوته ... ليس من أجلك يا إحسان، ولكن للحفاظ على كرامتي وعلى صورتك أمام الأولاد[21].

وتمثل منى في رواية "ليلتان وظل امرأة" نموذجاً للمرأة الخاضعة، إذ تقول: "انكشفت إرضاءً لمن حولي وتعريت ... كل التفاصيل في حياتي لهم يناقشونها ثم يقررون "[22]. ففي مجتمع تخضع فيه المرأة لقوانينه الصارمة، تعاقب منى على حبها لهشام بحرمانها من التعليم الجامعي، وإجبارها على الزواج بآخر.

وكما هي المرأة في مجتمعاتنا الشرقية، تحاول منى إخفاء شعورها بالتعاسة والخيبة، فتنجح كأم وزوجة وعاملة. تبدي ظاهرياً الشعور بالرضى والتعود على حياتها الزوجية، لكنها في لحظة مكاشفة مع شقيقتها ما تلبث أن تبوح بمشاعرها تجاه ذلك " استمر زواجي لأني حمارة وضعيفة ... لم أستطع مقاومة الأهل أو الحياة أو الناس "([23]). وهنا تظهر أن مشكلة المرأة الأساسية تكمن مع ذاتها، لأن قلائل من يستطعن امتلاك ذواتهن في مواجهة المحيط العائلي والسلطة الأبوية وتقاليد المجتمع. وبالتالي نجد أن نموذجالمرأة الخاضعة تشعر بالمرارة والحسرة والخيبة والفشل، فكلاهما ظل لامرأة واحدة، يضغط عليها المجتمع الذكوري بثقافته وقيوده وقوالبه.

رابعا: المرأة الزوجة والضحية

تمثل آمال"ليلتان وظل امرأة" نموذجاً للمرأة المتمردة المثقفة، محامية مشهورة فرضت حضورها على مجتمع الرجال الذين كان يعز عليهم أن يضعوا قضاياهم في يد امرأة [24]، تعلمت وتزوجت بمن تحب بمساعدة والديها اللذين شعرا بعقدة الذنب مما جنياه على شقيقتها الكبرى منى.

تصدم آمال بزيف العالم الذكوري من حولها حين حاول زوج شقيقتها الاعتداء عليها "كيف سمح لنفسه أن يتجرأ على كرامتي ... أهي تلك الذكورية التي تدفع بالذكر لأن يتجرأ على الأنثى حتى لو فاقته في إنسانيتها"[25]. تكتم آمال هذه الحادثة وتطويها في خبايا نفسها، ففي مجتمع يحمل المرأة مسؤولية الخطأ، ويغفر للرجل خيانته، تُؤثر المرأة دائماً التكتم ولا تجرؤ على البوح بخيانة الرجل.

تحمل آمال في داخلها نموذج المرأة التقليدي فتتفانى في حب زوجها وخدمته "من أجله أصبحت زوجة وربة بيت يعود إليها"[26]، لكنها تكتشف أن منطقه في الحب يختلف عن منطقها " كان يريد أماً لأبنائه، وكنت أريد أن أكون أنا وأماً، وأحببت أن أكون أنا وزوجة فأرادني امرأته فقط "[27]. لذا تشعر آمال بحيرة وأزمة إزاء خلط الأدوار التي وضعت فيها، فقد تعلمت وعملت لتحمي نفسها من الاستغلال والاستلاب، ومع ذلك فالمتوقع منها هو عكس ما حققته تماماً، يتوقع منها التبعية لزوجها وطاعته والرضوخ لرغباته.

وتجسد "آمال" أزمة المرأة المعاصرة ومعاناتها حين تخرج إلى العمل، إذ تصطدم برفض زوجها الذي أحبها من خلال عملها، فيشتد الخلاف بينهما إزاء إصرارها على امتلاك ذاتها وحريتها. وتتمادى آمال في تمردها ورفضها للواقع فتخرج عن طوق النمطية الأنثوية التي تقرها نظرة الرجل الدونية للمرأة فترفض الإنجاب لأكثر من طفل "لم يفهم عادل أن الحمل والولادة تؤكد دوري الأنثوي وخضوعي له"[28].

ومع تحقيق ذاتها تجد "آمال" نفسها في مأزق يدفعها إلى إنكار أنوثتها والتمرد عليها، وهنا تنفصم العلاقة بين المرأة وأنوثتها لصالح العمل الذي تحقق من خلاله الشهرة والنجاح، إلا أنها تشعر بالغربة عن جوهرها الأصلي الأمر الذي يؤدي إلى إحباط شديد التعقيد في علاقتها بزوجها الذي يتركها لأخرى. وحين تخسر زوجها، تحاول آمال أن تخفي انكسارها وهزيمتها حفاظاً على صورتها أمام الناس، وتحاول استعادته. وهي بذلك تؤكد أن المرأة على الرغم مما حققته من نجاح في عملها لم تتحرر بعد من نظرة المجتمع الذكوري للمرأة المطلقة.

خامسا: المرأة المناضلة

يتصدر مشهد رواية "وتشرق غرباً، 1988"، شخصيات نسائية متعددة تتباين في حضورها، وتبدو هند النجار أكثرها حضوراً، إذ تمثل نموذجاً للمرأة التي حققت ذاتها من خلال ما أنجزته من أعمال، فنجدها تحصل على حقها في التعليم رغم معاناتها من قمع السلطة الأبوية التي تميز بين الذكور والإناث، فوالدها رفض أن يبيع الأرض لتعليمها " شوبيقولوا الناس؟ شكري النجار باع أرضه علشان يعلم بنت"[29]، ولم تقتصر معاناة هند على حصولها على حقها

في التعليم، بل على حقها في الزواج ممن تحب فقد رفضت عائلتها الزوج بسبب اختلاف الدين، وطالبها أشقاؤها بالحفاظ على سمعة العائلة، وعلى العادات، والتقاليد التي استباحوا لكونهم رجالاً، ويحرمونها عليها لأنها امرأة.

تخضع هند لرغبة العائلة ولعاداتها وتقاليدها، وتصبح رغم ما حصلت عليه من حقوق – التعليم والاستقلال والاقتصادي –، مسلوبة من أبناء جيلها من الذكور، من أكثر هؤلاء وعياً بحرية المرأة وحقوقها، وذلك لأن المرأة وحدها هي التي استطاعت أن تتمثل الدلالة الحضارية لعصرها بينما تخلف الرجل عن الركب مطمئناً إلى خلود أســوار الحريم. فتنظير الرجل الشرقي عن حرية المرأة لا يعني اقتناعه أو ممارسته، ونظرة المجتمع للمرأة لن تغير إلا بتقدم المجتمع ومواكبته لحركة الواقع الاجتماعية والسياسية لذا تتغير هذه النظرة حين تُفسح الثورة للمرأة المجال للنضال إلى جانب الرجل، لأن تحرير المرأة مقياس لتحرر الإنسان. وانطلاقاً من هذا الوعي تنضم هند النجار لحركة المقاومة، فيزداد إحساسها بذاتها وهويتها وقناعتها بأن التحرر الحقيقي للمرأة لا يتم إلا بالنضال إلى جانب الرجل، وهو وحده الكفيل بإذابة الترسبات والحساسيات بين أفراد المجتمع بتشكيلته الجنسوية والأثنية.

ونجد من خلال توظيف شخصية "هند" وما أضفته ليلى الأطرش من سمات على هذه الشخصية تجعل منها نموذجا قادرا على التحمل، متميزة بالرزانة وتقدير الأمور حق قدرها، وجعلها دائما بقراراتها الصائبة موضع إعجاب، فنجد هند شخصية نسوية استطاعت النجاح في الدراسة والعمل والانتساب ثم الانخراط في أعمال المقاومة، كأن الكاتبة قررت أن تعطي البطولة لامرأة هي هند النجار.

ونجد أن الكاتبة أضفت على الشخصية منذ صغرها ميزة التحدي والتغلب على الصعاب، حتى فيما يخص بنيتها الجسدية الضعيفة، التي كانت تعيق اشتراكها أحيانا في بعض الألعاب الرياضية المدرسية التي تعتمد على قوة الجسد، فكانت هند عندما تشارك في لعبة شد الحبل في المهرجان الرياضي في مدرستها، فقد "كان أملها ضعيفا بجسدها النحيل، فلم تفز أبدا ثناء التدريبات... فكرت مدرسة الرياضة بتغييرها عدة مرات، ولكنها عندما تنظر في عينيها الواسعتين الحزينتين فيهما كان الرجاء تغير رأيها وتبقيها"[30]، حيث يلعب الحظ لعبته مع هند فتفوز بالمسابقة وتربح لعبة تضفي عليها طابع الحزن، "في عينيها نظرة مختلفة عن كل ألعاب العالم... نظرة وجلة وحزينة"[31]. وإن فوز هند مصدره نابع من إرادة هند، فليس الحظ وحده ما جعل هند تفوز بلعبة تحتاج لقوة جسدية تفتقدها، فعوضت تلك القوة بقوة الإرادة والتصميم.

ونجد شخصية هند تظهر رفضا لكل ما آلت إليه الأوضاع في فلسطين، وترفض وجود اليهود منذ نعومة أظافرها، فكانت على ديمومة السؤال عن اليهود ووجودهم، حتى أن والدها شكري النجار يظهر انزعاجا من كثرة أسئلتها عن اليهود، فيقول لها: "ما أكثر أسئلتك، تشغلين بالك باليهود..."[32]، وعندما مات ذلك الطفل عبدالقادر، وهو طفل من القرية بانفجار قنبلة من بقايا الحرب، فتسأل هند نفسها: لماذا يموت عبدالقادر؟ وكيف؟ "لقد كان ودودا يدافع عن البنات ضد الأولاد، في ساحة المدرسة، ويناصرهن عندما يتشاجرون على من يستعمل الأرجوحة أولا"[33]، وتكبر الأسئلة "لماذا لا يتركها اليهود، ويتركون رفاقها"[34].

الخاتمة

استطاعت ليلى الأطرش أن ترسم شخصياتها النسائية رسما دقيقا مستعينة بثقافتها وخبرتها وتجربتها الحياتية في الميادين الواسعة التي عملت وتنقلت فيها، ونجدها في أغلب أعمالها توجه نقدا للتمييز ضد المرأة في القانون والعادات والتقاليد وفي الثقافة والأدب، وهي نقد للأعراف التي يمكن أن تسبب انتهاكا لكرامة الإنسان، وهي نقد للمثقف في تذبذبه وفي تبريره لهذا التذبذب، ونقد للمعايير التي يضعها المجتمع الذي يحلل ويحرم على أساس الجنس، وهي نقد للذين يأخذون من الشريعة ما يريدون ويتركون ما يريدون، نقد للذين يريدون زوجات مملوكة وتحت الطلب، نقد لمجتمع فقد أصالته وأصوله، ولذلك فإن استطاعت أن تبوح بالمسكوت عنه حين استطاعت أن ترصد معاناة المرأة في الواقع، لتبني عالما موازيا للعالم الحقيقي، تسلط من خلاله الضوء على جوانب من تلك المعاناة.

ونجد أن ليلى الأطرش قد استحضرت مجموعة من النماذج النسوية في المجتمع لتشكل شخصيات عدد من رواياتها، فنجدها قد نوعت من تلك النماذج بين المرأة المثقفة، والمتمردة، والخاضعة، والمرأة المناضلة، ولكن الملاحظ على مجموعة تلك النماذج أنها كانت في أغلبها نماذج تظهر الضدية بين الرجل والمرأة، وفي بعضها ملامح للدعوة إلى تحرر المرأة من قيود المجتمع التي انتهكت حقوقها، وتظهر بشكل جلي عيوب المجتمع الأبوي الذي يهضم حقوق المرأة، وينتهك المساواة بينها وبين الرجل.

Abstract

The image of women in the works of novelist Laila Al-Atrash

By Malek Al-Sarayra

The aim of this research is to examine the image of women in the works of the novelist Laila Al-Atrash, through: a group of novels: The Woman of the Five Seasons, Two Nights and the Shadow of a Woman ،And the harbors of illusion, and a novel, and it shines westward . The research depends on the descriptive and analytical approach, by tracking the female characters in these novels, analyzing them, and discovering their connotations in the literary texts read.

The results of the research showed that the novelist Laila Al-Atrash evokes together a group of feminist models in society to form the characters of a number of her novels. We find that she varied among those models between the educated woman, the rebellious woman, the submissive woman, and the struggling woman, but what is noticeable about the group of these models is that they were mostly models. The antagonism between men and women appears, and in some of them features a call for women's liberation from the restrictions of society that violated their rights, and clearly shows the defects of the patriarchal society that undermines women's rights and violates equality between them and men.

key words:

The novel, Laila, Al-Atrash, the image of a woman.

الهوامش

[1]) القضاة، محمد أحمد، صورة المرأة في الرواية والقصة القصيرة النسوية الأردنية، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد(37)، العدد(1)، 2010.

[2]) العبداللات، سهى خالد، شخصية المرأة في الرواية الأردنية في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، عمان، الأردن، دار فضاءات للنشر والتوزيع، 2019.

[3]) الشواورة، إياد اسبيتنان، صورة المرأة عند الروائيات الأردنيات، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة مؤتة، الكرك، الأردن، 2020.

[4]) أبو النجا، شيرين، عاطفة الاختلاف، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، 1998، ص12.

[5]) تيم، غادة إسماعيل، شخصية المرأة في أدب ليلى الأطرش الروائي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، 2009، ص1.

[6]) يوسف، مي، تقنيات الكتابة الروائية في رواية (صهيل المسافات) للروائية الأردنية: ليلى الأطرش، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، المجلد(13)، العدد(1)، 2016، ص28.

[7]) الأطرش، ليلى، مرافئ الوهم، بيروت، لبنان، دار الآداب، 2005، ص38

[8]) الأطرش، مرافئ الوهم، ص39

[9]) المرجع نفسه، ص13

[10]) الأطرش، مرافئ الوهم، ص13

[11]) المرجع نفسه، ص16

[12]) المرجع نفسه، ص8

[13]) الأطرش، مرافئ الوهم، ص27

[14]) المرجع نفسه، ص24

[15]) المرجع نفسه، ص74

[16]) المرجع نفسه، ص87

[17]) الأطرش، مرافئ الوهم، 89

[18]) الأطرش،ليلى،امرأةالفصولالخمسة،المؤسسةالعربية للدراساتوالنشر،بيروت، لبنان، 1990، ص42

[19]) الأطرش، ليلى، امرأة للفصول الخمسة ، ص20

[20]) المرجع نفسه، ص128

[21]) المرجع نفسه، ص200

[22]) المرجع نفسه، ص24

[23]) الأطرش، ليلى، ليلتان وظل امرأة، بيروت لبنان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1998، ص128

[24]) المرجع نفسه، ص42

[25]) المرجع نفسه، ص79

[26]) المرجع نفسه، ص86

[27]) الأطرش، ليلتان وظل امرأة، ص87

[28]) المرجع نفسه، ص116

[29]) الأطرش، ليلى، وتشرق غربا، بيروت، لبنان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1988، ص111

[30]) الأطرش، وتشرق غربا، ص27

[31]) المرجع نفسه، ص28

[32]) المرجع نفسه، ص18

[33]) المرجع نفسه، ص23

[34]) المرجع نفسه، ص24

المراجع

الأطرش،ليلى، (1990)،**امرأةالفصولالخمسة**، بيروت، لبنان، المؤسسةالعربية للدراساتوالنشر.

الأطرش، ليلى، (1998)، **ليلتان وظل امرأة**، بيروت لبنان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

الأطرش، ليلى، (1998)،**وتشرق غربا**، بيروت، لبنان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

الأطرش، ليلى، (2005)،**مرافئ الوهم**، بيروت، لبنان، دار الآداب.

تيم، غادة إسماعيل، (2009)،**شخصية المرأة في أدب ليلى الأطرش الروائي**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

الشواورة، إياد اسبيتنان، (2020)،**صورة المرأة عند الروائيات الأردنيات**، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة مؤتة، الكرك، الأردن.

العبداللات، سهى خالد، (2019)،**شخصية المرأة في الرواية الأردنية في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين**، عمان، الأردن، دار فضاءات للنشر والتوزيع.

القضاة، محمد أحمد، (2010)، صورة المرأة في الرواية والقصة القصيرة النسوية الأردنية، **مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية**، المجلد(37)، العدد(1).

أبو النجا، شيرين، (1998)،**عاطفة الاختلاف**، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب.

يوسف، مي، (2005)، تقنيات الكتابة الروائية في رواية (صهيل المسافات) للروائية الأردنية: ليلى الأطرش، **مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب**، المجلد(13)، العدد(1).